Diwan Al-Nabegha Al-Shibani : Taqq to Say Preaching and Wisdom _ a Thematic Approach

Assistant Professor. Mariam Abdulnabi Abdulmajeed
Basra and Arab Gulf Studies Center
The University of Basrah

Abstract:

Diwan Al-Nabegha Al- Shibani committed to expression of manifestations which interest in a self and the other, and life and beyond by stating the elements that blend within them preaching and wisdom by clarification facts that text adopted to be defined and their implications for values and experiences that revealed by the poet about his own vision and the characteristic of the human soul as well as its links, or conflict with those values and what they reveal about changes the situations through time.

He, also, committed to say in the annihilation which revealing experiments that showed the depletion of things and their decay to a special universe. He described special items through describing the conditions of the people. Those conditions included relations, or acts, or images which are defined by variables that are happening or refer to them from the features of the ego and the limits of consciousness.

The poet passed on to the words about the results that infiltrate secretly from the action of speech and the consequent characteristics which consider as a window to the action that entails.

He mentioned when referring to the deeds the attitudes and visions that reveal concepts and values committed by the act in its multi-image and what it refers to perceptions.

ديوان النابغة الشيباني : تعالق القول بالوعظ والحكمة : مقاربة موضوعاتية

م. مريم عبدالنبي عبدالمجيد
مركز دراسات البصرة والخليج العربي
جامعة البصرة

المستخلص:

التزم ديوان النابغة الشيباني التعبير عن تجليات تعنى بالذات والآخر والحياة وماورائها عبر القول بعناصر تلاحم فيها الوعظ والحكمة، باستجلاء معطيات تبنى النص التعريف بأُصولها وتداعياتها المفاضة من قيم وتجارب كشف بها الشاعر عن رؤيته الخاصة والمييزة للنفس الإنسانية ونوازعها وارتباطاتها، أو تضادها مع تلك القيم وما تشفّ عنه، عبر القول بأحوال الدهر وما يكتنفه من متغيرات أحالها لشدته ورخائه أو لأعاجيبه أو دورانه أو عسره ويسره أو عدم ثباته على حال ومصائبه، بينما التزم القول بالفناء الكشف عن تجارب دلّل بها على نضوب الأشياء وتهاويها إلى كون خاص، ووصف الشاعر في القول بأحوال الناس عناصراً خاصة تضمها تلك الأحوال باستجلاء صلات أو أفعال أو صور تُعرّف بما تحدثه من متغيرات أو تشير إليه من ملامح الأنا وحدود وعيها، وقد عبّر الشاعر بإحالته إلى الأقوال عن النتائج التي تنسل من فعل القول وما يستتبعه من خواص تعدّ نافذة للفعل الذي يستتبعها، وأحال عند إشارته إلى الأعمال إلى مواقف ورؤى تملكت تصوراً يشف عن مفاهيم وقيم يلتزمها الفعل بصوره المتعددة وما يشير إليه من مدركات.

مدخل:

يتبدى القول بالوعظ والحكمة في ديوان النابغة الشيباني تعبيرا عن حالات ، تأخذ في أبعادها الكشف عن تجارب ، جاءت عبر أبيات تترشح عنها محاور ، تفترق ، وتتوازى ، وتتناضد ، لقيم أراد الشاعر الكشف عن متوالياتها التي تعنى بالذات والآخر ، والحياة وما وراءها ، عبر القول بـ : أحوال الدهر ، الفناء ، أحوال الناس ، الأقوال ، الأعمال ، وثيمات أخرى يستلها من مظاهر العلاقة التي تترابط بين الفكر والعمل والعاطفة .

وكان الديوان ينتقي دلالات تأخذ رؤى شملت سيرا خاصة ترشح فكر الأنا وعاطفته ، كالقول بـ:العسر واليسر والمنايا وغنى النفس وفقرها والشيب والشباب والقول الفاسد والخير والشر وغيرها ؛ وكان التعالق بين الوعظ والحكمة في متن الديوان يتوصف باستعراض مقارنة تكتنز إشارات لما يراد أن يكون ، عبر علاقة الأنا بالكون ؛ ذات الاتجاه برز عبر الإشادة به في مسارات الديوان خلال معطيات ، حرص النص على كشف مكنوناتها ، في ظواهر أمسكت بمناخ يستجلي الحياة ، ويتعالق مع البعد الآخر للحياة الأخرى في القصائد : ألا طال التنظّر ، بان الخليطُ ، اليأس ، أتصرِمُ ؟ ، ألا هاج قلبي ، ذرفتْ عيني دموعا ، مالناسُ إلاّ ، ألا طرقتنا ، بان السّفاء ، أرقتُ ، بانت سليمى ، آذن اليوم ؛ وكان الشيباني يصور قيما تستحضر تجاربا تتناول عمقا ، يحترز الكشف عن جوانب تخص النفس الإنسانية، وارتباطها بعلاقات خاصة ، وبين رموز فتحت أبعادا تشير إلى صلات ، تتسلل لديها جوانب تضاد مع ذات القيم وما يتبعها من تداعيات ، تستنفر عناصرا لتمثل ذات القيم وصلتها بالله ، فكان المنحنى الذي يستقرئ بعدي الوعظ والحكمة بارزا في الديوان ، عبر نماذج فتحت القول في المحاور التالية :

أ- أحوال الدهر

يكشف الديوان عند القول بأحوال الدهر مظاهرا ، تدعو إلى إيثار أطر تفتتح ذات البعد لإعداده لقيم تتسل من الواقع ، لتستثير فكر الذات حول متغيرات الكون التي تتجه في متوالياتها نحو تيارات ، تتناضّد بمشاهد تحثّ النفس على إضفاء صبغة خاصة للفعل الذاتي ،

فالشاعر ((يمتلك بصيرة ثاقبة تعي الأسباب ونتائج مايحدث في مفاصل الحياة المختلفة ، وعند ذاك لايكون شعره في السطح ، بل في الأعماق أعماق التجربة الشعرية))[١] ؛ ودراسة أحوال الدهر في ديوان النابغة الشيباني يشفّ عن الأبعاد التالية :

١- **الشدة والرخاء** : يصاحب الدعوة إلى مسارات ، تلتزم مرور الأنا بظروف تضطلع بانقياده ورضوخه لما يفرضه الدهر من قيم ، لاتبدو في البعد النهائي ثابتة ، يدلّنا على ذات المسار القول بـ : (شديدة نزلتْ ، سيأتي الرخاء) التي تؤطر هذا الإتجاه ، وتلتزم بإبرازه ، ووفق هذا المنظور تندرج الأنا في البعد النفسي للرضوخ إلى تلبية الشعور الخاص بالنفس ، لاستيفاء مناحي الخير والالتزام به عبر دراسة ذات التغيرات ؛ يقول :

فكلُّ شديدةٍ نزلتْ بحيٍّ سيأتي بعد شِدَّتها الرَّخاءُ [٢]

٢- **أعاجيبه** : يلتزم القول بهذا المحور في قصيدة (بانَ الخَليطُ) ، التي اتجهت في بناها نحو التركيز على الجانب ذاته من متغيرات الدهر ، التي تترصد ثيمة (الشيب والشباب) والتي تصيب بدورانها الأنا ، وتستقي عبر المدار ذاته استمرار نمو الزمن ودورانه ، الذي يأخذ بنضوب القوة التي يتمثلها الشباب حين يخبو إلى النهاية ، التي تشد إلى انمحاء زمانه ودخوله في دور العجز ، وليتذكر في هذا الجانب انحلال خصوص مايمتلكه وما يأتيه على يد الدهر الذي يصيبه بأعاجيبه المستمرة ؛ يقول :

يَبلَى الشبابُ ويَنفِي الشَّيبُ بهجتَهُ والدهرُ ذو العَوْصِ يأتي بالأعاجيبِ
مايطلب الدهرُ تُدرِكْهُ مَخالبُه والدهرُ بالوِترِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ
حتَّى يُصيبَ على عَمْدٍ خِيارَهُمُ بالنافذاتِ من النَّبل المصائيبِ [٣]

٣- **دورانه** : الدهر عند دورانه يفني القرون التي توثقت بعرى ازدهارها ، لافرق في ذاك بين قرن وآخر ، إنما مرور الدهر يستقي الازدهار ذاته إلى الأفول ، لتقوم بعد ذلك قرون أخرى ؛ يصاحب هذا في الديوان استشفاف الأفعال : (أفنى ، جذّ ، يقلِّع ، يعود ، تثلَّم ، يواري) ولتتثبت عبر هذا النهج توالد الأمم وأفولها عبر التزام سيرورة كونية أراد لها الله أن تجتلي وترفد الأنا بالعطاء أو احتباسه ؛ فيقول

أفنـــى القرونَ وجذَّ كلَّ قبيلـةٍ دهرٌ يُقلِّعُ أصلَها مجتـاحُ
يُبلِي الجديدَ ويعتقِي أيْد الفتَى ليـلٌ يَكِرُّ عليهِمُ وصَبـاحُ
حتى يعـــودَ من البِلَى وكأنّه قَـدَحٌ تثلَّمَ ناحلٌ رَحراحُ
وله حِفَـــافٌ ما يوارِي قَملـةٌ خَـزِيءُ النباتِ كأنّه رُبَّاحُ(٤)

٤- **عسره ويسره** : لعل القول بعسر الدهر وقدرته على اتلاف كل حظ إشارة خاصة لما يمكن أن يتراود في الذهن من الغرور والكبر ، بما ينال الأنا ، حيث يتبدى هذا الموقف مكتفيا بإيراد مايفتحه ذات الإطار من حكمة ، تفتض متواليات الحاضر ، وماسيؤول إليه، حينما وجدنا حركية هذا المنفذ في عبارة : (عَوْص الدهر) ، التي تؤشر قراءة خاصة لمرور الأيام ، وأخذ الدهر بالفناء واستقامته على ذات النهج عبر ميول واضحة، ترشحت عبر سيرورته منذ الأزل ، والتي ترسمت ذات الفروض في منطق خاص وضعه الله فيها ، يقول :

وعَوْصُ الدهر بالإنسان جَمٌّ ولايُنجِي من التَّلَفِ الجُدودُ (٥)

ويتبدى القول بـ: (العسر واليسر) أحد المظاهر التي تبناها القول بالوعظ والحكمة، حينما يرتفع إلى التزام ثيمته في مفارقات تشير إلى التدليل على تقلبات الدهر، التي يتقدم عنها بإشارة إلى عدم الثبات؛ فحينما يبرز القول بالتضاد عبر:(الثراء : المصيبات ، عسرة : المياسر) يناقش في محاور هذا البعد سياقا يلتزمه الدهر في تقلبه ، وفي سيرته التي تتمظهر بالإحاطة بذات الدور، الذي تموضع لفتح جانب يتجذر في الذات عبر البعد الزمني الخالص ، يقول :

وجدتُ الثراءَ والمصيباتِ كلَّها يجـيء بها بعد الإله المَقادرُ
فإنْ عُسرةٌ يوماً أضرَّت بأهلها أتت بعدها مّما وُعِدْنا المَياسرُ (٦)

٥- **عدم ثباته على حال** : الدهر غير ثابت على حال،هذه الثيمة يدور الديوان عليها في جانب القول بأحوال الدهر، ليعود إلى التحري عن مجريات تختزن مشاهد حافلة بهذا المظهر، والتي تبدت سيماء لطابعه الخاص منذ الأزل، وعدم الثبات سمة

تلتزم مؤثرات تلحظ أجواء تترشح عن رؤى ، أراد الله لها أن تتثبت في النفس الإنسانية ، لتحري مدى التزام الأنا بجانب الحيز الذي يستأثر بسنن ، تشف عن كمون وجدان الأنا المشتاق للرجوع إلى الله ، الذي يمتلك في ذاته رجوع الأنا إلى الخير والسلام ، نجد هذا القول في قصيدة : (ماالناس إلاّ)،التي تبنت إيراد التضاد في المفردات : (رماق : صالح ، خلفة : دهور ، البؤس: زائل،النعيم : غرور ،الشر :لايبقى،الخير :غير دائم) ؛ ((فالكلمة اشارة تقف في الذهن على انها دال يثير في الذهن مدلولا ، هو صورة ذهنية لموجود عيني ، وهذا الحدث هو الدلالة ،ومن المهم ان نقرر طبيعة الكلمة كاشارة ، فالكلمة بهذا المفهوم ليست اسما لشيء تنص عليه، وانما هي صورة صوتية ، وتصور ذهني : دال ومدلول))[٧] ؛ يقول:

ماالناسُ إلاَّ في رِمَاقٍ وصالِحٍ وما الدهرُ إلا خِلفةٌ ودُهورُ
مراتبُ ، أمّا البؤسُ منها فزائلٌ وكلُّ نعيم في الحياة غُرورُ
الشرُّ لا يبقى ولا الخيرُ دائمٌ وكلُّ زمانٍ بالرجال عَثورُ [٨]

وكان القول بـ: (القدر وبعدم إبقائه على الأمل) مادة تكشف هذا المنحنى ، الذي ينسب إلى ذات الدهر حينما يضمر في كينونته عدم التزام ثبوته على حال ، وهذه الالتفاتة تشد إلى التعريف بمجريات تتداخل عنها الاستعانة بذات التوصيف ، للدلالة على سيمائه ، ولتكون شفرة للوعظ منتقاة من بروز صفاته التي يلتزم الأنا الإفصاح عنها، عبر تضمين هذه الموارد في جانبه الشعري فيأتي بالأفعال : (يُزري ، يُبلي ، يُغيِّر) ؛ حينما يقول :

كم من مؤمِّل شيءٍ ليس يُدركُه والمرءُ يُزرِي به دهره الأملُ
يرجُو الثراءَ ويرجُو الخُلْدُ ذا أملٍ ودون مايرتجي الأقدارُ والأجلُ
والدّهرُ يُبلِي حتَّى يغيِّرَهُ كما تَغيَّرَ بعد الجِدَّةِ السَّمَلُ [٩]

٦- **مصائبه** : شفرة للتعريف بما يترشح من الدهر وأحواله ، فاتخاذ هذا الجانب يتعرف على ماينطوي عليه الدهر والذي يتجلى في هذا المظهر الذي يتأجج في كل نفس بلا استثناء،

ففي قصيدة (بانت سليمى) يأتي ذكر المصائب ليلتزم حين القول بها إبراز سيماء هذا الجانب ، الذي يترشح من ملامحه كصفة لازمة ، تبدت خطابا يستفز الذات الممعنة في الأمل ، ليظهر أن كل مصيبة يزول أثرها بتتابع مرور الدهر ، إلا مصيبة الإنسان في دينه لأنه الباقي معه للدار الآخرة عندما يقول :

كلُّ المصائب إن جلَّتْ وإن عظُمتْ إلاّ المصيبة في دِينِ الفتَى جَلَلُ (١٠)

ب – الفـــناء :

يلتزم الديوان عند القول بالفناء مفردات : (القضاء ، المنايا ، المصاب ، مات ، يحييه، بقاء ، العزاء ، سهام الموت ، الآجال ، خلود ، يبيد ، يمضي ، يصرع ، الموت ، حتوف ، غابر ، تفنى ، ميتة ، نعيم ، حياة ، محاق ، البلية ، طوت ، حي) للكشف عن تجارب أراد لها الشاعر التدليل على نضوب الأشياء ، وتهاويها إلى كون خاص ؛ ((ولكي يستطيع النص توصيل معناه أو موقفه من محيطه الخارجي ، فانه يلجأ إلى مجموعة من المعايير والمواضعات والاتفاقات التي تكون سابقة عليه ، ومعروفة لدى جمهور المتلقين ، والتي يستطيع بفضلها أن يخلق وضعية سياقية مشتركة بينه وبين القارئ)) (١١) ، الشاعر هنا يفصح عن رجوع إلى عالم خالد شفراته العذاب أو السعادة ٠

والإمعان في القول بذات البعد في مسارات الديوان يمتلك خصائص تعنى بالتدليل على ذات الجانب كالقول بـ : (يمضي ، المضاء ، القضاء) المتبدي صورتها في قصيدة (ألا طال التنظُّر) ، وفيها يقول :

ألا طَـــالَ التنظُّرُ والثَّواءُ وجاء الصَّيفُ وانكشف الغِطاءُ
وليس يُقيمُ ذو شجَنٍ مُقيمٌ ولا يَمضي إذا ابْتُغِيَ المَضاءُ
طَوَالَ الدهــرِ إلاَّ في كتابٍ لِمقـــدارٍ يوافقــُه القضاءُ (١٢)

ويؤسس الديوان لبنى يتكشف لديها خطى نهجت الإخبار عن توالي صروف الدهر ، ومداخلاتها نحو قدوم ذات العالم ، الذي يتعدى الفناء ، إلى فترة تحتضن الأنا نحو الخلود ،

فالأفعال : (توقَّ ، لاتبكِ ، يحييه ، بقاء ، تعزى ، ينفعها ، ستفنى ، يبلغه) جاءت كأدوات للوعظ والحكمة تستجلي كشف هذا المسار عندما يقول :

وقُلْ للمتــَّقِي حَدَثَ المنايـا توقَّ فليس ينفـعُك اتقــاءُ
ولا تَبكِ المُصابَ ، وأيُّ حيٍّ إذا مامات يُحـييه البُـكاءُ ؟!
وقلْ للنفسِ مَنْ تُبقِي المنايا ؟ فكلُّ الناسِ ليــس له بقاءُ
تَعزَّى بالأَســـى في كلِّ حـيٍّ فذلك حيــنَ ينفعـها العزاءُ
ستفنَى الراسياتُ وكلُّ نفسٍ ومـالٍ ســوف يبلُغـُه الفَناءُ
يُعــمّر ذو الزَّمانةِ وهو كَـلٌّ على الأدنَى وليس له غَناءُ
ويَردَى المرءُ وهو عميدُ حيٍّ ولـــو فادَوْهُ ما قُبِلَ الفِداءُ
إذا حانـــتْ منيَّتُه وأوصَـى فليس لنفسِه منـــها وِقــاءُ (١٣)

أما قصيدة (بان الخليط) فتلتزم مناخا يأخذ دلالات تتكشف فيها وتفتح مشاهدا ، تحرص على اقتناء ثيماتها من الواقع الحي للأنا ، وللدنيا التي تلتزم الفناء نهجا يتبدى في مرور الزمن ، بمقدار يوافق عطاء يفترض استتباعا يؤطر في ذاتية مروره ، اجتلاب دهشة خاصة تلتمس الفناء في أعمق مساراته كالذي وجدناه بالقول :

إني وجدتُ سِهامَ الموتِ مَعدِنُها بكلِّ حَتْمٍ من الآجال مكتوبِ (١٤)

وتتحدث قصيدة (اليأس) عن متواليات تتقدم بإخبار خاص يحترز حضور ذات البعد ، ويكشف عمقا يكتنزه من محاور ، تشد إلى بلوغ ذات المرحلة في مسار ثابت تلتزمه الدنيا منذ الأزل ، عبر مفتاح القصيدة الذي نجده في عناونها وكذلك في الأفعال : (أفنى ، يقلِّع ، يبلى، يكرّ ، يعود ، تثلّم ، يواري) ؛ وهذا المبنى الذي يحترز باطراد الكشف عن جملة تتصل بسيطرة الفناء على مصير الأنا ، ويأخذ فلسفة خاصة تنهج إلى المحافظة على فتح دلالات معرفية تجتلب نتائجا تتوفر عليها الدنيا في سيرورتها نحو الآخرة :

ثمّ المنايا ليس عنها مَزحَلٌ بل ليس دون سِهامِهنَّ وَجَاجُ (١٥)

ومحور الفناء يلتزم في ديوان النابغة الشيباني الأبعاد التالية :

١- يجتمع لدى الديوان عبر هذا البعد جملة تتصدر لديها إثارة تجارب ، تتوارد في ذات المنحى ، وتتأول إلى خطوات تتوزع على سيرورة الزمن ، والفناء يأخذ محورا يجتلب في ذات الخطوات ، ويتقدم بإحالة تتأتى لعلائق تشد إليه في نهاية المطاف ، وتقدم تعالقا ، يفتض مساره ويتماهى معه كالإخبار عن : الخلود ، المنعَّم ، الشقاء ، الإبادة ، عاد ، ثمود ، النجاة ، القصر المشيد ؛ عند القول :

إذا ماالمرءُ غالته شَعوبٌ فما للشـــامتين بـه خُلـودُ
وكـــلُّ منعَّم وأخي شقاءٍ ومُثْرٍ والمقـلّ معـــاً يَبيـدُ
إذا ما ليلةٌ مـــرَّتْ ويَـومٌ أتى يـــومٌ وليـلتُهُ جديـدُ
أبادَ الأولين وكـــلَّ قَـرنٍ وعـــاداً مثلما بادت ثمودُ
ولا يُنجي من الآجال أرضٌ يُحَلُّ بها ولا القَصر المَشِيدُ
وما لابدَّ منه سـوف يأتي ولكنَّ الـــذي يمضي بعيـدُ (١٦)

٢- يأخذ الديوان بكشف سمات تفتض الفناء ، وتحترز إسقاط تتابعات تشف عن دلالات تبحث في وظيفته ، ويجتمع لديها توصيف سياق يرصد مساره ، عبر معان تتصل بمفارقات تتميز بتوليد دوال للتعبير عن دخول فضاءاته ، كالدالة التي نجدها في مفردة : (حِذار) التي احترز الديوان التقاطها ، لإنتاج بنية تفتح مسارا للوعظ ، وحكمة تتصدر موضوعا يتقدم ، ((فإن أي نص يخلو من القصد لايرقى إلى مرتبة الخطاب وبالتالي لايقوى أن يحافظ على انسجامه الداخلي ، أو على منطقه الذاتي ، وسيفقد في النتيجة توجهه الإيصالي)) (١٧) ؛ ومن هنا يجد تفاصيلا تتسق مع إشارات تموضعت بالقول :

ولا يُنجِي الجبانَ حِذارُ موتٍ ويبلُغُ عمرَه البطلُ النجيدُ (١٨)

٣- يجتلي الديوان تجاربا خاصة للأنا لاكتساب صفات أراد لها الله أن تتشح في الذات الإنسانية ، التي تسير نحو عالم آخر بإيراد المفردات : (حتوف ، غابر ، غافر، تفنى ، يعي) ؛ وتخصيص ذات المفردات للقول بالفناء يتضمن الكشف عن منافذه، المتزودة بتداعيات تكتسي حلة تتشح بها الأحياء والموجودات ؛ يقول :

وقلتُ– وقد مرَّتْ حتُوفٌ بأهلها – ألا ليس شـــيءٌ غيرَ ربِّيَ غابـرُ
هو الباطِنُ الرَّبُّ اللطيفُ مكانُـهُ وأوّلُ شـــيء ربُّـــنا ثمَّ الآخـر
كَريمٌ حلـيمٌ لا يعقــبُ حكمُـهُ كثيرُ أيـــادِي الخير للذنبِ غافرُ
يُنيمُ حَصـادَ الزرعِ بعد ارتفاعهِ فتـــــفنَى قرونٌ وهو للزرع آبـرُ
ومن يَغْيَ بالإخبارِ عمَّن يرومهُ فإني بما قد قلتُ في الشِّعرِ خابرُ (١٩)

٤– التزم الديوان بسيماء خاصة لمستوى يتولد عنه الإحالة التي تقترن بنماذج ، وجدها الديوان تلحظ مفهوما يتكشف عن ذات الفناء ، الذي يعد باضطلاعه على جلاء التعريف بالسير نحو ذات العالم ، الذي يقف كحد أعلى ونهاية تكتسب في بنى بقاءها مايكتسبه الأنا من أعمال ؛ كقوله :

– جديدان يَبلَى فيهما كلُّ صـــالحٍ حثيثـــانِ هـذا رائح وبَكورُ
وأعلـــمُ أن لا شـــيءَ مؤمَّـــلا خـلا أن وجهَ الله ليس يبورُ
– وكلُّ امرئ إن صحَّ أو طال عمرُهُ إلـى مِيتَةٍ لابدّ سوفَ يصيرُ
يؤمِّل في الأيّام ما ليس مُدرِكـــا وليس له من أن يُنالَ خفيرُ (٢٠)

٥– تتصور في منافذ الديوان وظيفة يتشح بها ذات الفناء ، وتبحث في بناها المتواليات التي تكتسي مشاهدا يستلها للقول بالحكمة والوعظ ، في نتاج يقترح التعريف بآلياته الملتزمة عبر الشعر فكر الأنا ، لأنموذج يتمظهر بتوليد نظرية تتبع أسسا خاصة ، لوجهة نظر الأنا ، وايديولوجيته في الحياة والأحياء ، كالقول بـ : (فئ الظلال) ، فالفناء مكون يتصف ببعد يحيل إلى تداخل إجراء يترتب في بناه نظاما يتجه إلى اصطلاح يتأطر بالوجود ، حين يفترض النهاية التي تتشح بمهمة تعيد أنساقها إلى دار أخرى ، يقول :

كلَّ عيشٍ ولذةٍ ونعيمٍ وحياةٍ تودي كَفَيءِ الظِّلالِ (٢١)

٦– تتمثل الدار الأخرى أداء الأنا وكفاءته في التواصل الحي ، الذي يتوقف نحو الفناء في الوجود ، ليفتح عنه عالما آخر يتطلع في ذاته إلى أداء الأنا حين يتولد في فكر

يتوزع على زمن خاص ، تأخذ فيه الحياة مسيرتها وتتحدد بجانب الفناء ، لافتتاح عالم أزلي قادم ، كالذي وجدنا القول به في قصيدة (آذن اليوم) التي يقول فيها :

قد يَغيضُ الفتى كما ينقُصُ البد ... رُ وكلٌّ يصيرُ كالمستحالِ
فمحاقٌ هذا وهذا كبيرٌ ... بعدما كان ناشئاً كالهلالِ
ليس يُغنِي عنه السنيحُ ولا البُرْ ... حُ ولا مُشْفِقٌ زِمامَ قِبالِ
فإذا صار كالبليَّةِ فحما ... هو مَرُّ الأيام بعدَ الليالي
وكَستْهُ السَّنونَ شَيْباً وضُعفاً ... وطوتْ خَطوَه بقيدٍ دِخالِ
عاد كالضبِّ في سنين مُحولٍ ... عاد في جُحْرِهِ حليفَ هُزالِ
ليس حيٌّ يبقى وإن بلغَ الكَبْ ... رَةَ إلا مصيرُهُ لزوالِ
كلُّ ثاوٍ يثوي لحين المنايا ... كَجَزورٍ حبستَها بعِقالِ
إن تَمُتِ أنفُس الأنامِ فإن ال ... له يبقى وصالحُ الأعمالِ (٢٢)

ج- أحوال الناس:

يتمظهر في بنى الديوان بالإحالة إلى القول بأحوال الناس الكشف عن اتصال ذات البعد ، بإجراء يتراتب في فضاءاته الآتي :

١- توجيه الأنا إلى العناية بما يفتحه الحال من توصيف يترابط ويتصل بعلائق تشف عن وجود خاص يلتزم قواعدا يتوالد فيها اكتساب قيم تهتم بالأنا ، وعبر تمثيل خاص لكفاءة الذات التي يترشح فيها الحال ، ((فإذا انضاف إلى المدلول اللغوي مدلول آخر ، مدلول ثقافي يكون قيمة داخل الثقافة المعينة)) (٢٣) ؛ وينتج في بعده الخالص تضمينا يتأطر بسياق يقوم بتوليد محاور تتطلع إلى الجمع بين الأحوال التي يتناوب فيها الأنا ، والتي تشمل كل الناس كقصيدة (أتصْرِمُ) ، التي يقول فيها :

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ... ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزاد ذُخراً ... وعند الله للأتقى مَزيدُ (٢٤)

والوصول إلى الموقف الذي يشف عنه ارتباط الحال الذي يلزمه الأنا ومايصدر عن الذات من فعل ، هذا الإجراء يتأول عن قيم تتماس مع مفاهيم تقف فيها مقايسة تتوازى بين الأفراد ، وبدلائل تتجاور باستناد يفترض التداخل ، والتقاطع ، حين تموضعه عبر قيام الأنا بدورها المنسل من الحال الذي تتوشحه ، والقول بالوعظ والحكمة بالتزام الإحالة إلى أحوال الناس ٠

٢- الكشف عن مشاهد تحترز توصيفاتها وترشح سيماؤها الخاصة يسوق إلى التعريف بما تحدثه الأحوال من مرتكزات تتعرف باستبطان يحدد خواص تجمع الفعل الآني ، الذي يمكن قراءته من آلية تتقدم عنها صياغة تدل في تميز يتناول في بعده الخالص ، استناد انموذج يتصف به الأنا ، وتنوع الرد الذي تفترضه الأنا حين الولوج في نفس الحال ، فالقول بـ : (الحرص والجود ، غنى النفس وفقرها ، الاستحياء ، الحلم ، الراشد والغاوي ، سلائق الاخلاق) [٢٥] يشف عن تنظيم يلتزم بهذا المستوى ويقترح نمطا يتقدم عن اتخاذ وحدات تحيل إلى مسيرة خطاب الشاعر في الديوان ، للقول بتعالق الفعل الخالص مع حقول تتعارف في داخل الأنا ، الذي ينوء بأحوال تتعالق بذاته وتكون أناه ، متراصا مع نظام يتراتب بقدرة الذات على التواصل الحي مع ماتشف به الأحوال المجتلبة ضمنا، فالأفعال : (يُعطي ، ينمي، عمرت ، استحيا ، يسود ، يُنخ ، يَنبْهُ ، يطيعك ، لايُعتنى)[٢٦] تلتزم دلالة خاصة للوعظ والحكمة ، كقوله :

ولا يعطي الحريصُ غِنى لِحرصٍ وقد يَنْمي لذي الجود الثراءُ
غنيّ النفس ماستغنتْ غنيٌّ وفقر النفس ماعمِرتْ شقاءُ
إذا استحيا الفتى ونشا بحلمٍ وسادَ الحيَّ حالفهُ السناءُ
وليس يسودُ ذو ولدٍ ومالٍ خفيفُ الحلمِ ليس له حياءُ
ومنْ يكُ حيياً لم يلقَ بؤساً يُنِخْ يوما بعَقوتِه البلاءُ
تعاورهُ بناتُ الدهر حتّى تثلّمه كما انثلمَ الإناءُ [٢٧]

٣- يستلهم مشاهدا تنتمي للبعد التجريبي من واقع يتمثل بسمة تشتغل على الأنا ، في الفعل الذي يلتزم الديوان التنبيه له عبر عرض ذات المشاهد ، المحيلة إلى التصريح بالأحوال التي تنتظم في الكون ، والتي تستقرئ اشتغال الأنا على ذاته للولوج إلى عالم آخر ، يستتبع الحساب على الذات في البعد الذي يحتمل العمل الخالص :

فسلِ الجـــوادَ إذا تبرَّع بالنـدى وذرِ البخـــيلَ فإنه أنّـــــاحُ
لايستوي ذو بَســطةٍ نال العــلا ومقصّرٌ وَهِــنُ القوى دَحْداحُ
المشتري حُسنَ الثـــناءِ بمـالــه فله بـــــذاك مزيّة ورَبــاحُ
والجهلُ ما لم تُخشَ يـــوما ذلّـةٌ غَـــيّ وعاقبةُ الحُلومِ صـلاحُ
فانفع صديقك ما استطعتَ ولا تَخِمْ إن جدّ من حربِ العدوِّ فِضاحُ
والمرءُ يُدرِك في الأنـــاةِ بحِلمـه ويضامُ الطّروقةِ رِشْدَةٌ وسِفَاحُ
والوعدُ منـــهُ منجــزٌ وخِلابــةٌ ومن النفوس سخيَّةٌ وشِحاحُ (٢٨)

٤- يستقرئ الديوان الأنساق التي التزمت توشح الأنا بمظاهر ، تنتظم لتسجيل تداعيات علاقة الذات بالكون ، وما يتشكل على ظاهر الأنا وما يمتلكه من ملامح ، ترسخت، وتجلت عنها أفعال تشدّ إلى تذوق خاص لذات المناخ ، الذي تتناص في تكويناته وتتضح ، ((لأن بنية النص تتشكل وفق البنية الاجتماعية والذهنية للناص وتعكس الوسط الذي ينتمي إليه الكاتب إضافة إلى رؤيته للعالم)) (٢٩) ؛ لتعنى بتوافر سبل تنسل من ذاكرة مشبعة بالقول الذي التزمه الديوان حين تكشفت في مساراته ذات الأبعاد ، في منحنى الوعظ أو الحكمة ، في قصيدة (ذرَفتْ عيني دموعاً) التي نلمح فيها بوضوح تداعيات تلك الأبعاد وعودة الذات إلى مناخ معين حين يقول :

ومِن النـــاسِ غنـيٌّ ذو سَــوامٍ وقُدورِ
ووســـيط في زَماعٍ ذو معــاشٍ وفقير
كلٌّ باغي الخيرِ يوماً راكبُ الهولِ الكبيرِ (٣٠)

٥- يشتغل الديوان على إدراج أنموذج يمتاح التصور الذي يقف على الأحوال حين ولجت في الأنا ، عبر إرادة خاصة لذات الله ، حين تأسس عنها وعي عبر خطاب يتجرد لفتح حقيقة تقع لإيراد مايترشح عن ذات التمظهرات في الأنا ، حين يرزح تحت علائق تتوارد في حالات تؤثر وتتفاعل في الفكر المستجلي لقيم ، تسعى إلى نتاج الأنا عبر إيديولوجيته التي تتعرف على الحكمة التي تستل من ذات الإحالات، التي تقع في اتجاه يهيمن ويفرض ثقافة خاصة ، تستجلي التعرض إلى فروض تتركز عنها تجارب تشف عن استخلاص بعد يتصدر عاطفة الأنا ، وفكره ، عبر القول بـ : (الكهولة والصبا ، الغنى والفقر ، الضعف والقوة) ، في قوله :

إذا ما الكـــهلُ عُوتب زاد شرّاً ويُعتِبُ بعدَ صَبوتِه الوليدُ
يَغيضُ الأكثـرون حصَى رجالٍ ويَثْرَى بعـــدَ قِلَّتِهِ الوحيدُ
ويُعطَى المرءُ بعد الضّعف أيداً ويضعُفُ بعدَ قوَّته الشديدُ (٣١)

٦- يلتزم الشاعر في هذا المنحنى نمطا خاصا هو غاية تقرأ الحاجة الخاصة المتأتية من فضاء حرص الديوان على إعلاء أركانه ، حين الإشارة إلى منافذ يخاطب الشاعر من خلالها مهيمنة ، تملكت خيارا يغطي في البدء تصورات الأنا ، التي تمحور عنها اهتمام الذات بتوظيف الفعل الخاص ومايترشح عنه فكره حين تموضع، واضمحلال ذات الحالات التي تناوبت صروف الدهر على دورانها ، فحينما ترد المفردات المتضادة : (المكتسي والعاري ، الباكي والضاحك ، الحزن والبهجة) ، فإنها تجتلي رؤيا تؤدي إلى الولوج إلى العالم الآخر حين يقول :

وما الناسُ في الأعمالِ إلا كبالغ يُبَنِّي ، ومُنبَتُّ النِّياطِ حَسيرُ
فمستلَبٌ منه ريـاشٌ ، ومكتسٍ وعارٍ ، ومنهم متربٌ ، وفقيرُ
وباكٍ شجاً ، وضاحكٌ عند بهجة وآخرُ مُعطَى صحّةً ، وضريرُ (٣٢)

٧- يعلن في شفرات خاصة تكشف عن رؤيا تستجلي مؤشرا ، يشي بمصدر يشف عن ثقافة الأنا ، التي تجتلب نتيجة يؤول إليها الفـرد ، وجـدنا التعـريف بذات القول عبر قصيدة

(بانَ السَّفاءُ)،وذات النتيجة كانت عنصرا مهيمنا على البعد الموضوعي للديوان،الذي احترز إقامة قراءة توجه عنايتها للكشف عن أنماط تلحظ صروف الدهر على الأنا، يقول:

بان السَّفاءُ وأودى الجهلُ والسَرفُ وفي التُّقى بعد إفراطِ الفتى خَلَفُ
وقــد كسانيَ شيباً قد غَنِيتُ بــه مَــرُّ الليالي مع الأيام تختلـفُ
وزالَ أيــدي ، وشيبي ما يزايلُني وآلَ منِّي ، وشَيبُ الرأس مُخْتَلِفُ
حتى إذا الدهــرُ بلاَّني وغَيَّرنــي كما يُغيِّر جسمَ المُخصِبِ العَجَفُ
قالتْ ليَ النفْسُ إذْ خلــوتُ بهـا والنفــسُ صادقَةٌ لو أنها تقِـفُ
مَنْ يَرَ في وُلْدِهِ أيْـداً يُســرُّ بــه تَهِنْ قُوى شَيخِهِ والشيخُ منحذِفُ (٣٣)

٨- يستحضر الديوان مفاهيما تتواتر في حيوات الناس ومبتدى أحوالهم في توظيف شعري يستخلص رؤى الذات الشاعرة ، التي التزمت إعادة برمجة للفكر الذي يمتاح مكنوناته عبر النتاج النصي ، الذي تحدد بصورة تأطرت بإشارات تستفز الذات ، وتقدم حوارا يخاطب الفكر والعاطفة كقوله في قصيدة (أرقْتُ) :

فأحكَمُ ألبابِ الرجال ذُوو التُّقى وكلُّ امريء لايتَّقي اللهَ أحمقُ (٣٤)

٩- يقوم الديوان بكشف مشاهد تنتهي إلى اقتراح ، يتبع منهجا يسجل مستوى نشوء ظاهرة ثبتت بناها عبر صيغ خاصة ((وهكذا أصبحت العلاقة بين النص والواقع تفهم على نحو تحويلي : الواقع يقرأ كنص له معناه ، بقدر ماتعامل الوقائع كعلامات ورسائل ، وفي المقابل تعامل النصوص كوقائع لها فعلها وأثرها في تشكيل الواقع نفسه)) (٣٥) ؛ وتشف عن دلالات تتركب عبر سيرورة الزمن الذي يتجاوز في عناصر ذات الأحوال ، أنموذجا يستند إلى معايير تختص لإنتاج قيما تلامس الواقع الحي ، الذي يعيد الحاجة إلى سياق ينذر بتعالق ذات الأحوال بالواقع المعيش ، حين ينز عن شروط وجدناها تستمر ضمن دائرة تشمل حضور الذات ، الذي يعطي في العمل الخالص ، رؤيا خاصة للأنا تتجلى في القول بـ : (الغرائز) ؛ يقول :

ألا ربَّ نـــاهٍ عن أمـــورٍ وإنـه بـأيٍّ أمـــورٍ مثلها لجديـرُ
وما الناسُ في الأخلاق إلا غرائزٌ كما الشِّعر منه مُصلِدٌ وغزيرُ (٣٦)

وتكتمل في مكونات الذات ملامح تجتمع لتعمل في وجود خاص ، ينمو عبر الزمن ويتصل بقضية الأنا ، التي تتضايف لتنتج نهجها الذاتي المحيل إلى حقول لخطاب خاص ، في مشروع تتأسس عليه وقفة ، تلتجئ إلى بروز الفعل الذاتي ، حين تكون الأنا متصلة بأداة تحتمل غاية ترتقي بها إلى التفاعل مع ذات الله ، عبر انتماء روحي خاص، يفسر رؤاه في القول بـ : (العقل ، المجد) ، فيقول :

وكائنْ ترى من كامل العقل يُزدرَى ومن ناقص المعقول وهو جَهيرُ
ومنـــهم قصيرٌ رامَ مجداً فنالـه وآخرُ هَيْقٌ في الحفـاظ قصيـرُ
ومن طالـبٍ حقاً بفُحشٍ يفوتُـهُ وقائِلِ شعـــرٍ لايـكاد يسيـرُ (٣٧)

١٠- ينص الديوان على كيفية تهتم بنظم الفعل الآني ، حين يتوصف بتجريد يشترك بتلازم الوعظ بالحكمة ويتوازى ويتفق على حدود تستهل خطوات،تنهج إلى إجراء تتكشف عنه رسالة تتلاقح فيها إثارة قضية الأنا، بالفعل وتلاحمه مع أفول الحياة،وتبدي الخلود في عالم آخر يتكشف في استخدامه لمفردة : (الأهواء) ، حين يقول :

وللناسِ أهواءٌ وشتَّى همومُهم تَجمـــعُ أحياناً وحينـاً تَفَرَّقُ
وزرعٌ وكـلُّ الزرعِ يُشبهُ أصلَه همُ ولَدوا شتّى : مُكِسٌ ومُحمِقُ (٣٨)

هذا النهج الذي يلتزمه الديوان يتراسل ليضفي مقولات تتموضع أركانها ، عبر توليد محاور تشف عن حشد من الأبعاد التي يرزح عنها حال الأنا ، وتبحث في ارتباط ذات الأبعاد مع رؤيا كيفية تواصل الأنا مع الواقع ، الذي يصاغ كتجربة تثب لإنشاء نتائج تحيل إلى معطيات ، لنسق تتلاقى طرقه لتتمثل الجهر بمواضع تتأكد فيها حكمة خاصة ، ترفد الديوان بتراكيب تقتضي أمثلة ، انتظمت رؤاها على سياق لنسيج تداعت عنه متواليات ،

تجسدت للتعبير عن خطاب الشاعر في ذات البعد الخالص من الديوان ؛ فالقول بـ : (حتف النفوس) يلتزم التدليل على اشتراك الناس جميعهم بالرجوع إلى الله ، حينما يقول :

وأرى الفقـرَ والغنى بيد الل هِ وحتفُ النفوس في الآجالِ
ليس ماءٌ يُروى به معتَفُوه وَاتِـنٌ لايغـورُ كالأوشـالِ (٣٩)

وهذا التعالق يرصد شيوع وتراكم مسميات تستقر في وجدان الذات الإنسانية ، حين رزوحها تحت أحوال ترادفت كتجربة خاصة تستفز الفعل الذاتي وتتوازى معه ٠

ء- الأقـــوال:

تبدت ثيمة الأقوال في شعر النابغة الشيباني تتبعا لدلالات تستقبل بلوغ ارتباط وثيق لرؤية ، تظهر عبر النتائج التي تنسل من فعل القول ، ومايتأطر عنه من تعاريف ، مثل مفردات : (الهجاء ، قول الشعر ، الإنشاد ، الغناء ، النطق ، يعوي ، السبّ ، الذّم ، الفخر ، الصدق ، الأمثال) ؛ وتشيد ذات الإحالات ببناء يؤسس لمفهوم يرتبط بادراك الذات لما تحتمله وتقتصر عليه ذات الأقوال حينما تختزل منحى لسيرورة تتمثل نشوء الفعل الذي يستجلي مداركه من ذات الأحوال : كقوله :

وكلُّ جِـــراحةٍ تُوسى فتبـرا ولا يـبرا إذا جَـرَحَ الهِجاءُ
يؤثِّـــرُ في القلوب له كُلـومٌ كداءِ المـــوت ليس له دواءُ
وحَوكُ الشعر ما أنشدتَ منه يزايلُ بـــينَ مُكفَئَهِ الغنـاءُ
فينفي سَيِّءَ الإكـــفاءِ عنـه كما يُنفَى عن الحَدَبِ الغُثاءُ
غُثاءُ السيلِ يَضـــرحُ حَجْرَتَيْـهِ تَجلَّلَهُ من الزَّبَـــدِ الجُفـاءُ
من الشـــعراء أكفاءٌ فحـولٌ وفَرَّاثُونَ إن نطقـوا أساءوا
فهل شِعرانِ : شعرُ غِنا وحكمٍ وشـــعرٌ لاتعيجُ به ، سواءُ
فإن يكُ شـــاعرٌ يَعوِي فإنـي وجـدتُ الكلبَ يقتُله العُواءُ
وإن جَرِيـــت بواطنُ حالبيْـه فإن العـــرُّ يشفيهِ الهنـاءُ (٤٠)

وكانت منظومة النص في هذا المحور تحمل السمات الآتية :

١- تعنى باستنباط إيقونات تراقب شروع الذات للبحث عن الرد ، الذي يتقدم بملاحظة يقاس عنها اعتداد خاص كاستشفاف رمز (التجربة) التي تتعالق مع الحمد أو الذم والدليل الذي يحيل إلى ذات النشاط حينما يستجلي القول ينتمي إلى أساس يترجع عنه إشارات تشهد بثراء الصور التي تتموضع في بنية القول المراد ، ((وحين نطبق القراءة على الحياة ، فان السلبية بكل أنواعها تختفي إذا أدركنا الأفعال الخلاقة للشاعر الذي يعبر عن العالم عالم أصبح صالحنا)) [٤١] ؛ وهذه الخصوصية تسترجع سياقا يعنى بدلائل لاتنفصل عن الفكر الخاص للأنا كقوله :

لاتحمدَنَّ امرأً حتى تجرِّبهُ ولا تذمَّنَّه من غير تجريبِ [٤٢]

٢- يتحدد المعنى المراد باعتباره معطى يلاحظ النظر الذي يمتلك في طياته ، أمثلة تتوارد باشتراك ذات القول حين يمنهج في تناص خاص يتواجد عبر خطى إجرائية تستوي في الكيان ، الذي ينتمي فعل القول إليه ، كالذي وجدناه في سياق قصيدة (اليأس) ، التي استوحت في سياقها القصائد كإشارات لتدل على قول الخير والشر، وفي ذات المسار يتجه اختيار الأنا إلى معيار قابل لتحقيق سيماء تتجه إلى البحث، والاشتغال على تجربة الأنا التي يكون القول طرفا أساسا فيها ؛ يقول :

إن القصائدَ خيرَها وشرارها مثلُ المناهلِ عذبةٌ وملاحُ [٤٣]

٣- يستدعي فعل القول قضية الأنا ، التي تثار عبر اتفاق بنى القول مع اصطلاح يتوارد لتخصيص مشاهد يفصح عنها ، وتعد إشارة تضع علائق خاصة ، تتقدم بمسميات تعود إلى قياد النفس حين اجتلاب موقف الأنا ، وفكره ، في ذات القول الذي يستعيره حينما يستبطن عبر دلائل تساق لتحديد يكتمل عنه الدور الذي يحتله بالفكر ، كالرؤيا الملتزمة القول بها قصيدة (ماالناس إلا) ، في البيت الذي يستهل بكلمة وقيلك :

وقِيلُك : قد أبصرتُ شيئاً جهلتَهُ لذي حَنَقٍ عند الحميَّةِ بورُ [٤٤]

٤- يقود فعل القول في الديوان إلى استعمال علائق تكشف عن الداخل ، وتدل بإطارها الخاص إلى لزوم حالات تبرز مفاهيما تشف عن عاطفة الذات ، باختيار ثيمات خاصة للقول تتحقق عنها تمظهرات تؤسس لإنموذج ، يجهر عن وظيفة تستدعي البحث عن دور الأنا ، وروابطه مع الكون والآخر ٠

والإشارة بالوعظ والحكمة عبر ذات الثيمة تنتج مسارا يحاكي وعي الأنا ، عبر طرائق تتحدد فيها مشاهد تجهر بدلالة تشير إلى مايستجليه هذا المبنى ، لتشكيل يهتم بسياق ينتج نهجا يفتض ذات الكمون ، الذي يعيد أنساقه في الذات حين تلتزم سمات القول بدءا ، فالفعل (تُسِّرُ) –مثلا– يستجلي ملامحا لدلالة تستبطن (الزمن: الرمز) ، حين اقترانه بجملة (في غير كنهه) ، ((والرمز هو قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء ، إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة ، أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة ، إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالما لاحدود له لذلك هو إضاءة للوجود المعتم ، واندفاع صوب الجوهر)) [٤٥] ؛ وهذه الإضاءة تعبر بدورها الخاص المأخوذ من فعل القول، ليشمل معطى يتحقق لمقاصد تنحو إلى منجز يجتر حدثا يستمد أبعاده من قيم تتوازى مع توصيفا يعود إلى اقتران مؤشرات القول مع مايكتنز الداخل ، يقول :

وكيفَ تُسِرُّ الفخرَ في كُنهِه وفي أنفُسِ الأقوام أنتَ حقيرُ ؟! (٤٦)

٥- يفتض الديوان غاية تنحو إلى التأكيد على وجهة نظر الأنا ، فوظيفة القول تتشكل عنها تراكيب تجهر بتواصل ينتقل إلى صعيد يتوصف بقيم لوجود هوية الأنا ، التي تتجسد عبر نظام القول وعلاقاته مع الذات ، في مسار الرمز كالذي تحمله مفردة (السّم) في قصيدة (ألا طرقتنا) ، وهذه الدالة تتحقق بمعاينة تتآلف مع تشكل صيغ تتوصف بانطلاق افتراض يقتضي التلازم ، مع تنضد الداخل بمفاهيم تتناغم باكتساب سيرة خاصة للأنا ، تشير إلى حكمة بمعيار يشيد بدوره في الحال المجتلب من نظام القول ، عبر ذات الرمز وأداء الأنا لمبنى القول ينحو إلى حقول تنهج لتجسيد مواضعا تتوزع وظائفها في توالي يقتضي آثارا لخلاصة الداخل ؛ فيقول :

والشعر شتّى يهـيمُ الناطقونَ بـه منـه غُثاءً ومنه صادقٌ مثَـلُ
منه أهـــاذٍ تشجّى مَنْ تَكَلّفهـا والبسْطُ والفخْمَ والتقييدُ والرّمَلُ
والناسُ في الشعر: فُرّاثٌ ومُجتلِبٌ وناطـقٌ محتذٍ منهمْ ومفتعِـلُ
ذَرْ ذا ورشّح بيوتاً أنــت حائكُها لابدّ منهـا كِراماً حين ترتحِـلُ (٤٧)

٦- يقدم الديوان ثيمات مستلة من فعل القول كمرجع يتحقق فيه إدراك لماهية اهتمام الأنا ، ويحمـل حقائقـا تتوصـف بمضـامين تتـرابط أبعادهـا ، وتتميـز علاقاتهـا بمسـار يسـاق لتوصيف معالم خاصة تنتج عبر التعبير المراد بالقول ، كالمسار الذي التزمته قصيدة (بانت سليمى) ، حينما التزمت القول بالشعر كرمز لنفوس الناس ، والشعراء خاصة ، ليخرج باستناد يشف عن تلازم دلالات تعيد الكشف عن فضاءات الداخل ، وأفكاره ، وتبنـي الجهـر بـذات الفضـاءات يخبـر بالقصـد الـذي يتبـدى باسـتدعاء مراتـب تحتـرز توصيف الأنا وإيديولوجيته ، الدالة على توليد بنى القول المتأسس عن ذات الإيديولوجية بدءا ، كقوله :

ثمَّ قُـل للمُريد حَوْكَ القوافي إنّ صـــينَ كان غيرَ مُـذالِ
أثقِفِ الشعرَ مرّتين وأطْنِبْ في صنوفِ التشبيب والأمثالِ (٤٨)

هـ – الأعمـــال:

يستلهم الديوان ذكر مفردات تفصح عن القول بالأعمال ، عبر مواقف تعود بالأعمال إلى التعبير عن تجربة تبدت مرجعا للدلالة على عناصر أولية ومعان كامنة ((وإذا صح أن الفنان أو الكاتب واعظ أو ساحر أو عالم من طراز خاص مرتبط بالمعاني الكامنة في أعماق هذا الكون فإنها لمهمة نبيلة أن يتم اكتشاف هذه المعاني ، والتعبير عنها بشكل إبداعي يجسد المجهول في صورة الواقع)) (٤٩) ، فيحترز البحث عن رؤيا تختار تصورا يعطي واقعا للكشف عن طرقه عبر النص الذي يستطلع القيام بالوعظ والحكمة ، فعبر رموز: (العمل ، الخير والشر ، الظلم، الضرّ ، اللّب الأصيل) ؛ نجد رؤيا خاصة لتلاقح الحكمة مع الوعظ : كقوله :

ألا أيّها الإنسانُ هل أنت عاملٌ فإنك بعد الموت لابدّ ناشرُ (٥٠)

وعبر بنى تتراص لتوصيف خصائص لوجود يحتل الفعل للأنا يختار الشيباني الأنماط التالية :

١- استلال ثيمات وجد الديوان في القول بها مرجعا لتثبيت فكر الأنا ، الذي يلحظ التعبير عن مقترب يكشف دلالات تستثمر التعريف بعلاقات الذات ، مع تعاقب الزمن كالذي وجدناه حينما يكون (الإنصاف) دالة يشير إليها قوله :

ألم ترَ أنّ الخيرَ والشرّ فتنةٌ ذخائرُ مَجزِيٌّ بهنَّ ذخائرُ
ومن يعمل الخيرات أو يُخْطِ خالياً يُجازَ بها أيامَ تُبلى السرائرُ
ونازلِ دارٍ لايُريد فراقَها ستُظعِنُهُ عما يريدُ الجرائرُ
ومن يُنصِف الأقوامَ ما فات قاضياً وكلُّ امرئ لا يُنصفُ اللهَ جائرُ
يعذَّرُ ذو الدَّيْن الطلوبُ بدَينِهِ وليس لأمر يظلُم الناسَ عاذرُ (٥١)

٢- يمارس الديوان حضورا يقارن بين تجارب تتماس وتتجه إلى فتح منفذ تتحقق لديه أحداث تدعم تلازم ارتباطه بإشارات تتموضع في منظومة لمنح خلاصات، تستدعي العمل ، وتدعم قيام الذات بوظيفة أراد لها الخالق أن تكون ، كاستثماره الإشارة لـ : (العداوة والفجور) في قوله :

وضرُّك من عاديتَ أمرُ قَوايةٍ وحزمٍ ، وضرُّ الأقربين فُجورُ (٥٢)

٣- يستثمر دوال تتجاور لتأكيد مشبع بمقارنة تتعالق مع عناصر ، تفتض مضمونا يجهر بقيم تتأطر برابط وتتمحور بنهج يتيح صيغا ، تتشكل لوصف ذات القيم، بمسميات تتحدد أسسها وتكون جزءا من كينونة الأنا حين التزام الأفعال عبر تنضد الزمن ، ولعلنا نشاهد ذات الرؤيا في القول بـ : (اللّب الأصيل) مقترنا بـ (العمل) في قوله :

لا يُصبح المرءُ ذو الُّلبِّ الأصيل ولا يُمسي على آلةٍ إلا له عمَلُ
وفي الأناةِ يُصيبُ المرءُ حاجتَهُ وقد يُصيبُ نجاحَ الحاجةَ العَجِلُ (٥٣)

٤- إيجاد مفاهيم تنسل من دلالات تطال العمق من ذات الأنا ، وتتراود لتكشف عن ترافق القيم التي يلتزمها مع الفعل، عبر صوره المختلفة ، ويكون الفعل في هذا المنحى تمثلا لخطاب الأنا،المكتسي نظاما يجمع بين استقراء الأنا وتموضع الفكر في الداخل، وعبر وجود يبنى على إشارة تدل على تعالق الإدراك مع مستويات تحيل إلى تداخل الفعل مع انفتاح عالم آخر كائن ، وعبر توالده يتم ثبات وخلود يستطلع قيمة الخير، وعبر التزام الفعل مع محاور تتبادل لإرادة الخالق وباختيار عناصر الفعل مع إرادته سبحانه ، فالفعل (سعى) يعتبر نواة لذات العمل عبر قوله :

كلُّ ساعٍ سعى ليُدرِكَ شيئاً سوف يأتي بسعيه ذا الجلالِ
فَهُمُ بين فائــزٍ نالَ خيراً وشــقيٍّ أصــابه بنَــكــالِ
فولاةُ الحرامِ من يعملُ السُّو ءَ عــدوٌّ حربٌ لأهلِ الحلالِ
إنَّ من يركبُ الفواحشَ سِرّاً حين يخــلو بسَوءَةٍ غيرُ خالِ
كيف يخــلو وعنده كاتباه شــــاهديه وربُّه ذو المِحالِ (٥٤)

و-أخـــرى

يتمظهر في بنى الديوان بالإحالة إلى موضوعة الوعظ والحكمة تناص ، يحايث جوانبا تقوم كأساس ينتمي إلى دور يستحضر أبعاد الحياة ، وماينبثق فيها من هموم وآلام ، وتنصيب ذات الثيمة في إطار يستمد مقوماته من قيم ، كشف الديوان عن أنساقها ، حينما وقفت لتوصيف نتاج يتداخل عن أنموذج ، يتبدى إيقونة ترشح فكر الأنا خاصة ، فعبر القول بـ (الإخاء) الذي يشتمل في منحنياته توجهات الذات التي تتثبت عبر القول بالتواصل ، مع علائق تشد الأنا ، بالآخر ، يقول :

وكــلُّ أُخُــوَّةٍ فــي الله تبقــى وليس يــدوم في الدنيا إخاءُ
أصِبْ ذا الحلم منك بسَجْلِ ودٍّ وصِـلْه لايكــن منك الجفـاءُ
ولا تصــلِ السّـفيهَ ولا تُجِبْهُ فإنَّ وِصال ذي الخَرَباتِ داءُ
وإن فِـراقَــه فــي كـلِّ أمــرٍ وصَــرْمَ حبــالِ خُلَّتِه شِفـاءُ (٥٥)

ويتبدى ظاهرا يفترض إشارات تترابط لتعود إلى نهج لتعريف الداخل ومتمنياته ، وفي هذا الخطاب الخاص تتقابل بنى تتصل علاماتها ، لتكتسي طابعا يقترن بما يلج الأنا من مفاهيم، تتصاعد، وتأخذ في الداخل افقا يعود إلى ترسيخ قيم تتلاحم ، وتأخذ شكلا يتبدى في سيرة الفرد عبر حياته ، وعلائقه بالكون ، ذات النهج الذي تبدى في منحنيات الديوان إحالة إلى تموضع يكتنز إيديولوجية، تفترض توالد الحدث عندما يصور الشاعر عبر قوله بـ : (المعروف) خطابا ينسل من كينونة الأنا، ويأخذ وظائفا تستخلص عنها نتائج تتناص مع مظهر الأنا ، الذي يشف في بنى الذات عن صلات خاصة مع الله في قوله :

وإن عُنِيتَ بمعروفٍ فقلْ حسناً ولا تهِنْ عن ذوي ضِغْنٍ لتَهييبِ (٥٦)

وفي ذات المسار يكشف الديوان عبر نقد خاص ارتقاء الذات ، حينما يسوق في سيرورته أحداثا تتراكم متواليا ت ، باستلهام ثيمة (التعفف وإيفاء الوعد) وتأخذ تجذرات تترابط في داخل الذات لتمثل عبر خطاب خاص ، نمطا يرشح جوهر الأنا ، يقول :

ومن التعفُّفِ عن مسائلَ جَمَّةٍ تُزرِي بصاحِبها حَياً وفلاحُ (٥٧)

وينتسب القول بـ: (العيش) إلى معان فتح الديوان القول بها ، عندما تنتمي إلى مراجع تنتسب إلى الأصل عبر محاكاة تنضدت في القول بذات الثيمة ، المسترجعة مشاهدها في بنى الوعظ والحكمة عبر قوله :

والعيشُ شتَّى : شَربتانِ فمنهما مَحْضٌ يُعاشُ بطَعمها وضَيَاحُ (٥٨)

هذا التموضع جاء كإسقاط يكشف عن ظاهر فكر الأنا ، عبر جدلية تقوم بتراكيب تستخرج وحدات مثل القول بـ (انتقاء الأصحاب) التي يأخذها كشفرة تهدف إلى كشف ذات السياق ، والعودة إلى بنية ((تحيل إلى علاقات غائبة عن النص يجب استحضارها لأنها هي التي ستضيئه أكثر من علاقات الحضور التي يجسدها سياقه ، والتي تمثلها علاقات المجاورة، ، فالعناصر الغائبة عن النص ستصبح على قدر كبير من الحضور الدائم إذا تم كشفها)) (٥٩) لتستهل فتح نوافذ لقضية الأنا وتماسها مع كينونة الفرد ، وعلائقه مع الكون :

فصاحِبْ كلَّ أروعَ دَهْثَميّ ولا يَصْحبْك ذو الغَلَقِ الحديدُ

يرى ما نـال غُنْما كلَّ يومٍ صَـــفاهُ حين تَخبُرُهُ صَلـودُ
وشرُّ مُصاحبٍ خُلُقٌ قَسِيٌّ ونعـم الصاحبُ الخُلُقُ السديدُ (٦٠)

ويجتر الديوان ذات الموارد ليتعامل مع مقولات تعيد تعميق الأثر الذي يحترز الوعظ أو الحكمة ، حين يزدوج مع دوال تقترب لتستقرئ حركة الداخل عبر كمون مشاهد تتناص ضمنا مع الحياة ، وتتداخل مجرياتها لتشخص تعامل الذات مع ملامح تشكل بنية تتعرف إلى ذات المشاهد وتواردها بدءا ، نلتقط هذا المفهوم عبر دالة (الثأر) ، حينما يقول :

وَطلاَّبُ التِّراتِ بها طَلـوبٌ ذكيٌّ لا يحالفه الهُجودُ
وشرُّ مُطالب الأوتارِ نِكْسٌ من الأقـوامِ جَثَّامٌ لَبودُ (٦١)

ويفتض الديوان تشكلا يعتد بتأمل الأنا ، ويورد موقفها ، الذي يلتزم حدودا يستجليها حينما التزم الشاعر إيراد فكرة (الزواج) ، التي جاءت دلالة على عدم توازن الأمور ، وهذا التأكيد تناول الرجوع إلى مراحل تستجلي انتماء الأنا إلى أنموذج ، يتصور في أبعاده الجمع بين الفعل الذاتي وما تستجليه الحياة من صيغ ، تترك سيماءها على سيرة الفرد التي وجدناها عبر القول بـ : (مواجهة العدو) الذي نلمحه يتوازى مع إشارات لصيغ تمتثل إلى ثيمات ، تستقي محاورها من أبعاد تتداخل عبر دوال تعيد انسجام مبنى وآليات ، تتمم عبرها فكرة خاصة لتأويل رؤى الأنا فيقول :

ومن يكـــنْ ذا عدوّ لا يواقعُـهُ إلاّ وعيـــداً فإنَّ الهيْبَةَ الصَّلَفُ
فلا تَهـــابَنَّ أسفاراً وإن بعُدتْ إنْ هابَهَا عاجزٌ في عُودِه قَصَفُ
قدْ يرجعُ المرءُ لا تُرجى سلامتُهُ وقـد يصيبُ طويلَ القِعدةِ التلَفُ (٦٢)

وعبر قراءة تتسل من فعل يأخذ نطاقه من ذات المشاهد ، التي يستجلي الديوان محاورها ، والتي يعمل على كشف مساراتها ، عبر إطار يحتل منه الوعظ والحكمة صعيدا يختار توازيا للقول كأساس ينتمي اليه القول بـ : (الحذر) في قوله :

احذَرْ ذوي الضّعن لا تأمنْ بوائِقَهم وإن طُلَبْتَ فلا تَغفُل وإن غفلوا
قـد يسـبق المرءَ أوتارٌ يطالبُـها ويـدرك الوِتْرَ بعد الإمَّةِ الخَبِلُ (٦٣)

وتتناسل ذات الثيمات داخل موضوعة الوعظ والحكمة ، وتتناص عبر التجارب التي كشف الديوان أبعادها ، عبر قراءة خاصة تمثلت حركة التجربة ، ورصدت مركزية دلالاتها ، عبر قصيدة (آذن اليوم) ، التي يقول فيها :

وإذ ما أذلتَ عرضَك أودى وإذا صينَ كان غيرَ مُذالِ (٦٤)

هكذا تعاضدت الرموز في فضاء النص وتبدت في صيغة شعرية تحيل إلى هيكلية التجربة ، بكمون الحدث المشار إليه عبر توصيف يقدم رؤيا الأنا ، التي تطال مستوى يستوحي ذاتية التجربة على البعد الزمني الخالص ٠

خاتمـــة:

يقدم الوعظ والحكمة في ديوان النابغة الشيباني تعالقا في محاور لقيم كشف الشاعر عن أبعادها ، وكانت تفترق ، وتتوازى ، وتتضد ، للتعبير عن صلة الأنا بالآخر والكون ٠

وكان هذا المسار يترابط ليستفز المتلقي للتفكر بما يراد أن يكون بعد الحياة ودخوله في عالم آخر ؛ وعبر ثيمات معينة يعلن النص عن فضاءاتها ، التي تمتلك في ذاتها مشاهدا خاصة لتجارب تحث النفس على مؤدى يجتلي الفعل النهائي إلى عالم أكثر خصوبة وارتقاء ؛ من خلال القول بـ : أحوال الدهر ، الفناء ، أحوال الناس ، الأقوال ، الأعمال ، وموضوعات أخرى تنتمي إلى دور يستحضر أبعاد الحياة ، وماتجتليه من هموم وآلام ، في توصيف يرشح فكر الأنا وعاطفته ٠

الإحـــالات

(*) النابغة الشيباني : هو أحد النوابغ الثلاثة بين الشعراء الجاهليين والإسلاميين ؛ والآخران هما : النابغة الذبياني والنابغة الجعدي ؛ أهم الجوامع بينهم كونهم من الشعراء الذين أعجب الناس بشعرهم كل منهم في عصره وبيئته ، فلقبوا جميعا بالنابغة ، والنابغة الشيباني كان من مخضرمي العصرين الإسلامي والأموي ، ونجد في شعره أثرا بينا وواضحا للتعاليم الإسلامية، وهو شاعر بدوي كان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويجزلون عطاءه ؛ وقد تميزت شاعريته بهذا العناق الفذ بين

البيئتين : بيئة البداوة بما فيها من القوة والصلابة والوحشية ، وما يكتنفها من مخاطر وأهوال ، بحكم أصالته بين أهل الوبر ، وبيئة الشام بحللها القشيبة ورخاء وعذوبة العيش فيها ٠

الهوامش:

١. الشعر والإبداع الفني ، أ٠م٠د٠ إسماعيل خلباص حمادي ، ١٢ ٠
٢. ديوان النابغة الشيباني، شرحه وضبط نصوصه وقدم له الدكتور فاروق عمر الطبَّاع، ٢٢ ٠
٣. السابق ، ٣٨ ؛ ينظر : ١٠٤ ٠
٤. السابق ، ٥١ ٠
٥. السابق ، ٥٤ ٠
٦. السابق ، ٦٧ ٠
٧. تشريح النص ، عبدالله محمد الغذّامي ، ١٧ ٠
٨. الديوان ، ٧٣ ٠
٩. السابق ، ١٣١ ٠
١٠. الديوان ، ١٣٢ ٠
١١. من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، دراسة تحليلية نقدية في النظريات العربية الحديثة ، عبدالكريم شرفي ، ١٩٣ ٠
١٢. الديوان ، ٢١ ٠
١٣. السابق ، ٢٢ ٠
١٤. السابق ، ٣٨ ٠
١٥. السابق ، ٥١ ٠
١٦. السابق ، ٥٤ ٠
١٧. اللسانيات والدلالة ، د٠ منذر عياشي ، ٨٠ ٠
١٨. الديوان ، ٥٦ ٠
١٩. السابق ، ٦٦ ٠
٢٠. السابق ، ٧٤ ٠
٢١. السابق ، ١٣٩ ٠

٢٢. السابق ، ١٤٠ ٠
٢٣. الأدب والغرابة ، عبدالفتاح كليطو ، ١٤ ٠
٢٤. الديوان ، ٥٥ ، ٥٦ ٠
٢٥. ينظر: الديوان ، ٢١، ٢٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ٠
٢٦. ينظر: المكان نفسه ٠
٢٧. السابق ، ٢١ ، ٢٢ ٠
٢٨. السابق ، ٥٠ ، ٥١ ٠
٢٩. نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال ، د٠ حسن خمري ، ٧٢ ٠
٣٠. الديوان ، ٧٣ ٠
٣١. السابق ، ٥٦ ٠
٣٢. السابق ، ٧٤ ٠
٣٣. السابق ، ١٠٤ ٠
٣٤. السابق ، ١١٤ ٠
٣٥. هكذا اقرأ ما بعد التفكيك ، د٠ علي حرب ، ٢١ ٠
٣٦. الديوان ، ٧٥ ٠
٣٧. السابق ، ٧٦ ٠
٣٨. السابق ، ١١٥ ؛ ينظر: ١١٤ ٠
٣٩. السابق ، ١٤٠ ٠
٤٠. الديوان ، ٢٤ ٠
٤١. جماليات المكان ، جاستون باشلار ، ٨٢ ٠
٤٢. الديوان ، ٣٩ ٠
٤٣. السابق ، ٥٠ ٠
٤٤. السابق ، ٧٥ ٠
٤٥. زمن الشعر ، أدونيس ، ١٦٠ ٠
٤٦. الديوان ، ٧٦ ٠

٤٧. السابق ، ١٣٢ ٠
٤٨. السابق ، ١٤١ ٠
٤٩. أوراق للريح – صفحات في النقد والأدب ، د٠ عبد الستار جواد ، ٦ ٠
٥٠. الديوان ، ٦٦ ٠
٥١. السابق ، ٦٧ ٠
٥٢. السابق ، ٧٥ ٠
٥٣. السابق ، ١٣٢ ٠
٥٤. السابق ، ١٤١ ٠
٥٥. السابق ، ٢٣ ؛ ينظر: ٣٩ ٠
٥٦. السابق ، ٣٩ ٠
٥٧. السابق ، ٥٠ ٠
٥٨. السابق ، ٥١ ٠
٥٩. علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي(مقاربات نقدية) ، د٠ سمير الخليل ، ٧ ٠
٦٠. الديوان ، ٥٦ ٠
٦١. السابق ، ٥٧ ٠
٦٢. السابق ، ١٠٥ ٠
٦٣. السابق ، ١٣٢ ٠
٦٤. السابق ، ١٤١ ٠

المصادر

- الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطو ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢ م ٠
- أوراق للريح . صفحات في النقد والأدب . د.عبد الستار جواد ، دارالشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ط١ ٠
- تشريح النص ، عبدالله محمد الغذامي ، ط٢ – ٢٠٠٦ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء (المغرب) ، بيروت (لبنان) ٠

- جماليات المكان ، تأليف . جاستون باشلار ، ترجمة . غالب هلسا ، كتاب الأقلام ، يصدر عن مجلة الأقلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ٠
- ديوان النابغة الشيباني ، شرحه وضبط نصوصه وقدَّم له ، الدكتور عمر فاروق الطبَّاع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، (د٠ ت٠) ٠
- زمن الشعر، أدونيس ، ط٢، دار العودة ، بيروت ، (د.ت٠) ٠
- الشعر والإبداع الفني ، أ٠م٠د٠ إسماعيل خلباص حمادي ، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، المجلد (٣)العدد (٤) آيار ٢٠٠٧ م ، جامعة واسط – كوت – العراق ٠
- علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي (مقاربات نقدية) ، د٠سمير الخليل، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٨ ، دار الشؤون الثقافية العامة ٠
- اللسانيات والدلالة،د٠ منذر عياشي،مركز الإنماء الحضاري،ط٢ _ ٢٠٠٧ ، حلب _ سورية ٠
- من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة –دراسة تحليلية نقدية في النظريات العربية الحديثة ، عبد الكريم شرفي ، ط١_٢٠٠٧م ، منشورات الإختلاف ، الجزائر العاصمة _ الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت _ لبنان٠
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، د٠ حسين خمري ، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت _ لبنان) ، منشورات الإختلاف (الجزائر_العاصمة) ، ط١ _ ٢٠٠٧م ٠
- هكذا أقرأ مابعد التفكيك،د٠علي حرب،ط١–٢٠٠٥،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٠